

DOI: 10.54240/2318-012-003-020

**البروسوبوغرافيا: ماهيتها وأهميتها في البحث التاريخي**  
**Prosopography: its definition and importance**  
**in historical research**

صص336-355

اسم المؤلف: زهية حاج محمد- Zahia Hadj Mohammed

الدرجة والعنوان المهني: أستاذ مساعد أ- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة البليدة2  
لونيبي علي- الجزائر/البريد الإلكتروني: z.biblio@hotmail.com

تاريخ استقبـال المـقال: 2022/12/29.. تاريخ المراجعة: 2022/07/15.. تاريخ القبول: 2022/03/23

**الملخص:** تعتبر البروسوبوغرافيا مقارنة هامة لدراسة التاريخ- خاصة تاريخ النخب- لما تختزله من معلومات ثمينة في ثنايا البيوغرافيات التي تحتويها، فهي تنبني على رصد الخصائص المشتركة لمجموعة من الأفراد الفاعلين في التاريخ، تكتسب بياناتهم الفردية قيمة ومعنى إذا تم تأطيرها في سياق جماعي، وقد حظيت البروسوبوغرافيا باهتمام كبير من قبل العديد من المؤرخين والباحثين في التاريخ بفتراته المختلفة (العصر القديم، الوسيط، الحديث والمعاصر)، لكنها لا تزال محدودة الاستعمال في بعض البلدان العربية ومجهولة في بعضها الآخر، رغم الرواج الذي شهدته في معظم البلدان الغربية منذ النصف الثاني من القرن العشرين.

وبالتالي تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مفهوم البروسوبوغرافيا من خلال التطرق إلى تعريفها والتعريـج على نشأتها ومراحل تطورها وكذا خطوات إجرائها، بالإضافة إلى الوقوف على أهميتها وحدودها في البحث التاريخي، وقد توصلت الدراسة إلى التأكيد على أهمية هذه المقاربة في كافة فروع التاريخ (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي، الديني وغيرها)، بل إنها تستجيب أيضا لاحتياجات الباحث في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية (علم الانسان، علم الاجتماع، علم النفس، العلوم السياسية، ...): إلا أن فاعليتها تتوقف على مجموعة من العوامل التي يجب التحقق منها قبل توظيفها.

**الكلمات المفتاحية:** الأرشفة التاريخية؛ البروسوبوغرافيا؛ البيوغرافيا الجماعية؛ البيوغرافيا؛ البحث التاريخي؛ التاريخ؛ تاريخ النخب.

**Abstract:** *Prosopography is an important approach to the study of history -especially the history of elites- it is due to the valuable information it contains in biographics, and it is based on observing the characteristics of a group of individuals active in history, where does their information gain value and meaning if placed in a collective context. It has received great attention from many researchers in various fields of history in different periods (ancient era, medium, modern and contemporary). However, it is still limited in use in some arab countries and unknown in others, despite the popularity that it witnessed in most western countries, since the second half of the twentieth century.*

*Thus, this study aims to shed light on the concept of prosopography, by addressing the definition of it and explaining its origin and stages of development, the steps for its implementation, In addition its importance and limits in historical research. The study concluded to emphasize the importance of this approach in all branches of history (political, social, economic, cultural, religious, etc), but it also responds to the needs of the researcher in various branches of the humanities and social sciences (anthropology, sociology, psychology and political science, etc)- However, its effectiveness depends on a number of factors that must be checked before employing it.*

**Keywords:** Historical archives- prosopography- collective biography- biography- historical research- history- history of elites.

**مقدمة:** شهدت الكتابة التاريخية خلال القرن التاسع عشر تطورا ملحوظا من حيث الرؤية والمنهج، فلم تعد مجرد سرد لأحداث الماضي، التي يراد بها العظة حينا والمتعة أحيانا، بل أصبح التوجه نحو البحث التاريخي بغرض الوصول إلى الحقيقة التاريخية -بقدر ما تسمح به الظروف الخاضعة لها- التي تمكننا من فهم حياة الأفراد والمجتمعات عبر مر العصور، وذلك باتباع الأساليب والطرق العلمية المبنية على النقد والتحليل والتفسير، فبظهور المنهجية التاريخية وتنوع مدارسها وتباين اتجاهاتها، اختلفت طرق الكتابة وتفاوتت مداخل الاهتمام والتركيز.

لقد تحول اهتمام المؤرخين خلال النصف الأول من القرن العشرين من التركيز على الأفراد إلى التركيز على كل الفئات الاجتماعية، كما اهتموا بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتاريخ الذهنيات بدلا من التاريخ السياسي والعسكري، بالإضافة إلى تركيزهم على المواضيع الدقيقة المتعلقة بمختلف جوانب الحياة اليومية، فانتعشت بعض النماذج من البيوغرافيا، التي تقوم توجهاتها على اعتبار الفرد مدخلا أساسيا لفهم الجماعة،

واستطاعت أن تحافظ على وجودها بين الكتابات التاريخية خلال مرحلة الحوليات، من بينها: البروسبوغرافيا.

تقوم البروسبوغرافيا على التحقق من الخصائص المشتركة لمجموعة من الأفراد الفاعلين في التاريخ بناء على الفحص المقارن لمجموع البيوغرافيات الفردية، التي تحيل إلى فهم الظواهر التاريخية، إذ تصبح البيوغرافيا وسيلة -لا غاية- للكشف عن محيط الأفراد من خلال نمط الممارسات الجماعية، حيث يرى الباحث جيوفاني لوفي (Giovanni Levi) أن "البيوغرافيا الفردية لا تمثل أهمية إلا بقدر ما تدل على سلوكيات أو مظاهر مرتبطة بالظروف الاجتماعية الأكثر تكرارا إحصائيا، فهي ليست ببيوغرافيا حقيقية، بل استعمال لبيانات بيوغرافية لأغراض بروسبوغرافية، فلا تعد العناصر البيوغرافية التي توجد ضمن البروسبوغرافيا معبرة تاريخيا إلا لبعدها العام"<sup>1</sup>.

حظيت البروسبوغرافيا باهتمام كبير من طرف العديد من الباحثين في البلدان الغربية، لما توفره من معلومات ثمينة، تساهم في إضفاء معارف جديدة وإزاحة الغموض عن بعض الجوانب المعتمدة من التاريخ بفتراته المختلفة (العصر القديم، الوسيط، الحديث والمعاصر)، بل إنها تستجيب أيضا لاحتياجات الباحث في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ حيث يقول كوينراد فيربوفان (Koenraad Verboven) وآخرون في هذا الشأن "أن البروسبوغرافيا تجمع بين تخصصات متعددة، يتداخل فيها التاريخ بعلوم أخرى، حيث تصبح دراسة مجموعة من الأفراد تدخل في سياق خاص، تختفي فيه خطوط الحدود التقليدية لمختلف التخصصات التاريخية (تاريخ القانون، تاريخ المؤسسات، التاريخ الاقتصادي، وغيرها)، كما يتم استحضار نماذج للعلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى (علم الإنسان، علم الاجتماع، علم النفس، العلوم السياسية، ... إلخ)"<sup>1</sup>، لكنها لا تزال محدودة الاستعمال في بعض البلدان العربية ومجهولة في بعضها الآخر، مقارنة مع ما قدمه الباحثون في البلدان الغربية من إسهامات بروسبوغرافية في مختلف المجالات التاريخية.

1- Giovanni Levi- Les Usages de la biographie- In: Annales. economies, sociétés, civilisations, vol. 44, n° 6, 1989- pp. 1329- 1330.

1- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn- A short manual to the art of prosopography- In: Kathrine Keats Rohan- Prosopography: approaches and applications: A Handbook- Unit for Prosopographical Research- Oxford -2007- p. 60.

في هذا الإطار جاءت دراستنا هذه، التي تسعى إلى تقديم إرساء مفاهيمي للبروسبوغرافيا، من خلال التطرق إلى تعريفها والتعريف على نشأتها ومراحل تطورها وكذا خطوات إجرائها، بالإضافة إلى الوقوف على أهميتها وحدودها في البحث التاريخي، وهذا قصد لفت انتباه الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة والتاريخ خاصة إلى هذه الآلية الخصبة، لما تقدمه من معلومات تعجز بعض المناهج والمقاربات الأخرى عن توفيرها؛ من هنا تنبثق إشكالية الدراسة التي تتجلى في السؤال الرئيسي التالي: ما مدى فعالية البروسبوغرافيا في البحث التاريخي؟ والذي تنطوي تحته مجموعة الأسئلة الآتية: ما مفهوم البروسبوغرافيا؟ ما هي خطوات إجرائها؟ فيما تتمثل أهميتها وحدودها في البحث التاريخي؟ وللإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التاريخي، الذي يقوم على تتبع الأحداث التاريخية ودراسة وقائعها وتحليلها بطريقة علمية دقيقة.

1- مفهوم البروسبوغرافيا: إن للمفهوم تاريخ يتطور ويتحول ويعاد بناؤه، والمعنى اللغوي للبروسبوغرافيا يبقى عاجزا عن إبراز التحولات التي طرأت عليها وتحديد معناها والمقاصد التي ترمي إليها، مما يتطلب التطرق إلى تعريفها بشقيه اللغوي والاصطلاحي، بالإضافة إلى تقديم لمحة تاريخية حول نشأتها ومراحل تطورها.

#### 1- تعريف البروسبوغرافيا:

1-1 التعريف اللغوي: يرجع أصل مصطلح بروسبوغرافيا إلى الكلمة اليونانية "προσωπογραφία"، وهي مشتقة من لفظين:

"προσῶπον" "prosōpon": كان يعني قناع أو وجه، ثم "شخصية مسرحية" و"شخص" بشكل عام.<sup>1</sup>

"γραφειν" "graphein": بمعنى كتابة أو رسم.<sup>2</sup>

ورد مصطلح بروسبوغرافيا في بعض الموسوعات والقواميس بمعان لغوية متشابهة، فعرف بأنه "وصف السمات الخارجية لوجه وشكل الشخص".<sup>3</sup>

1- Pierre Chantraine- Dictionnaire étymologique de la langue grecque. Histoire des mots. vol. III- Éditions Klincksieck- Paris- 1975- p. 942.

2- Pierre Chantraine- Dictionnaire étymologique de la langue grecque. Histoire des mots. vol. I- Éditions Klincksieck- Paris- 1968- pp. 235- 236.

3- J. B. Morin- Dictionnaire étymologique des mots français dérivés du grec et usités principalement dans les sciences, les lettres et les arts- B. Warée- Paris- 1803- p. 431.

وأشار قاموس إميل ليتري (Littre Emile) إلى أن البروسوبوغرافيا هي مصطلح بلاغي، يعين "نوعا من الوصف، الذي يهدف إلى التعريف بالسمات الخارجية، الوجه، وشكل الإنسان والحيوان"<sup>1</sup>.

كما جاء مصطلح بروسوبوغرافيا في "Grand Larousse Encyclopédique" للدلالة على "علم مساعد لعلم النقوش والتاريخ القديم، الذي يدرس نسب ووظائف الشخصيات العظيمة"<sup>2</sup>.

انطلاقا من هذه المعاني فإن البروسوبوغرافيا من الناحية اللغوية يقصد بها وصف الخصائص الخارجية للشخص.

**1-2-1 التعريف الاصطلاحي:** تعددت تعريفات البروسوبوغرافيا بتعدد الاتجاهات الفكرية للمؤرخين والباحثين في مختلف التخصصات والمناطق والأزمنة، مما أدى إلى التعبير عنها بمصطلحات مختلفة، حيث أشارت الباحثة البريطانية رئيسة قسم البروسوبوغرافيا بجامعة أكسفورد كاترين كيتس روهان (Katharine Keats- Rohan) إلى "أن مشكلة المعنى والتعريف هي مشكلة حقيقية لأنها ليست مجرد انعكاس لواقع معجمي أو دلالي، بل هي انعكاس للتجربة المتطورة لمختلف الممارسين على مدى فترة طويلة"<sup>1</sup>.

فيما قام المؤرخ الإنجليزي المختص في التاريخ الوسيط والحديث لورانس ستون (Lawrence Stone) عام 1971 بلفت الانتباه العام لمفهوم البروسوبوغرافيا في مقالته الشهيرة "Prosopography"، موضحا مختلف المصطلحات التي تطلق عليها في قوله: "البيوغرافيا الجماعية (كما يسميها المؤرخون المعاصرون)، تحليل المسار الوظيفي (كما يسميها علماء الاجتماع)، البروسوبوغرافيا (كما يسميها المؤرخون القدماء) تطورت لتصبح واحدة من أكثر التقنيات قيمة وشيوعا لمؤرخ البحث"<sup>2</sup>، وعرفها بأنها "التحقيق في الخصائص المشتركة لمجموعة من الفاعلين في التاريخ من خلال دراسة جماعية لحياتهم"<sup>3</sup>.

1- Emile Littré- Dictionnaire de la langue française. vol. 3- Librairie Hachette et Cie- Paris- 1874- p. 1361.

2- Grand Larousse Encyclopédique, T. 8- Larousse- Paris- 1963- p. 845.

1- Katharine Keats- Rohan- Progress or perversion? Current issues in prosopography: An Introduction [en ligne ] 2003- Consulté le 20/2/2019- Disponible à l'adresse: <http://www.coelweb.co.uk/progress-or-perversion.pdf>.

2- Lawrence Stone- Prosopography- In: Daedalus, vol. 100, n° 1, 1971- p. 46.

3- Ibid.

كما عرف الباحث الفرنسي المختص في التاريخ القديم والنقوش أندريه شاستانيول (André Chastagnol) البروسوبوغرافيا بأنها نهج تحليلي "ينطلق من تكوين بطاقات فردية، تتضمن معلومات بيوغرافية متنوعة، التي يتم توفيرها لنا عن أشخاص، تربطهم ببعضهم البعض صلة مشتركة"<sup>1</sup>.

وعرفت أيضا المؤرخة والباحثة البلجيكية المختصة في التاريخ التربوي وتاريخ الجامعات هيلدي دي ريدر سيموينز (Hilde De Ridder- Symoens) بأنها "بيوغرافيا جماعية تصف السمات الخارجية لمجموعة من السكان، الذين لديهم شيء مشترك (المهنة والأصل الاجتماعي أو الجغرافي والعمر والتنشئة، ... إلخ)، وهذه الطريقة يتم الكشف عن الخصائص المشتركة لمجموعة من الجهات الفاعلة في التاريخ"<sup>2</sup>.

لقد وضع الباحث جان موران (Jean Maurin) أن "البروسوبوغرافيا تتغذى على بيوغرافيات معينة، ولكنها تتخطاها جميعا، لأنها بعيدا عن كونها تراكما لأحداث فردية، هي تبحث في مسارات فردية من الثوابت والاختلافات وعلاقتها بمسارات أخرى من نفس الوسط، فلا تحتفظ أهداف البروسوبوغرافيا إلا بنقط تربط الفرد بالمجتمع (لا يعتبر الفرد هدفا) لمعرفة علاقات نسبه وقرباته وتحالفاته وأصوله ومقدار ثروته الموروثة والشخصية ونشاطاته المهنية وممارساته في السلطة، ... إلخ"<sup>1</sup>.

في نفس السياق، كتب الباحث الإيطالي المختص في التاريخ الحديث جيوفاني لوفي (Giovanni Levi) قائلا: "يمكن وصف هذا النوع من البيوغرافيا بأنه نمطي بالنسبة إلى البيوغرافيات الفردية، التي لا تستخدم إلا للاستدلال على أشكال نوعية من السلوك أو الأوضاع، وأنه يعطي بعض التماثل مع البروسوبوغرافيا. ففي الواقع، البيوغرافيا التي تحتويها ليست بيوغرافيا شخص منفرد، وإنما هي بيوغرافيا شخص تتكثف فيها كل خصائص المجموعة، وهي بذلك طريقة للتعبير عن معايير وقواعد بنيوية (البنى الأسرية،

1- André Chastagnol- La Prosopographie, méthode de recherche sur l'histoire du Bas Empire- In: Annales. Economies, sociétés, civilisations, vol. 25, n° 5, 1970- p. 1229.

2- Hilde de Ridder- Symoens- Prosopografie en middeleeuwse geschiedenis: een onmogelijke mogelijkheid?- In: Handelingen der Maatschappij voor Geschiedenis en Oudheidkunde te Gent, n° 45, 1991- p. 96.

1- Jean Maurin- La prosopographie romaine: pertes et profits- In: Annales. economies, sociétés, civilisations- vol. 37, n° 5- 6, 1982- p. 825.

آليات تطور الملكيات والنفوذ، أشكال التراتب، الحراك الاجتماعي، ... إلخ)، تتدخل للبرهنة على أنها أدلة تجريبية قبل أن تقدم أمثلة نمطية<sup>1</sup>.

كما أشار الباحث خالد طحطح إلى أنها "نموذج تصنيف اجتماعي وسطي، يهتم بالطابع العام للمجموعة دون التعمق في الفردانية، هدفها الانتقال من التفرد إلى التعدد عبر دراسة المجموعة من خلال تقاطعات الأفراد الذين لهم مميزات مشتركة [...] تنطلق من وجهة نظر فردية لتصل إلى مستوى جماعي"<sup>2</sup>.

في حين وضع كوينراد فيربوفان (Koenraad Verboven) وآخرون أن البروسبوغرافيا "تقوم على وصف المميزات المادية لمجموعة متجانسة على نحو أكثر أو أقل لعدد من الأفراد، من خلال جمع ما أمكن من العناصر المادية التي تسمح لنا بوصف الفرد، مع استبعاد العناصر الروحية التي من شأنها أن تنقلنا من الشخص إلى الشخصية"<sup>3</sup>.

وقد أقر الباحث المغربي محمد المبكر بوجود لبس يعترض تعريف البروسبوغرافيا، وأكد على ضرورة التمييز بين استعمالين أساسيين للمصطلح<sup>4</sup>:

- البروسبوغرافيا بمعناها الضيق: أي كقائمة من البيوغرافيات،  
- البروسبوغرافيا بمعناها الواسع: يشمل أيضا العمل التحليلي الذي يستغل المادة المجمعة. وأضاف بأنه لبس لا يعاني منه الباحثون الألمان، الذين يميزون بينهما بمصطلحين مختلفين<sup>5</sup>:

- "Prosopographie" (قائمة من البيوغرافيات)،

- "Historische Personenforschung" (البحث التاريخي في الشخصيات).

نستشف من خلال قراءتنا لهذه التعريفات التقارب الواضح فيما بينها، فمعظمها اتفقت حول الجانب الاجرائي للبروسبوغرافيا والمقتضيات المعرفية لاستعمالها، على كونها مقارنة ونهج بحثي أكثر منه منهج، و"على الرغم من الاستعمال المكثف لعبارة (المنهج البروسبوغرافي) إلا أن البروسبوغرافيا ليست منهجا، فهي لا تضيف شيئا جديدا سواء في

1- Giovanni Levi- Op. cit- p. 1330.

2- خالد طحطح- الكتابة التاريخية- دار توبقال للنشر- الدار البيضاء- 2012- ص. 95.

3- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn - Op. cit- p. 39.

4- محمد المبكر- البروسبوغرافيا في الدراسات التاريخية- في: مجلة أمل، مج. 5، ع. 15، 1998- ص. 12.

5- نفس المرجع.

طريقة البحث وجمع البيانات أو في فحص المصادر ونقد النتائج، إنها بمعنى أدق وسيلة للدراسة ومقاربة جديدة لحقبة معينة<sup>1</sup>.

وبالتالي، البروسوبوغرافيا هي مقارنة كمية يتم ممارستها في التاريخ لدراسة مجموعة من الأفراد المنتمين إلى وسط اجتماعي معين، الذين تربطهم صلة مشتركة، تقوم على جمع بياناتهم البيوغرافية التي تتجاوز شخصيتهم، واستجلاء أوجه التشابه والاختلاف منها من خلال مقارنة مساراتهم المهنية والسياسية والاجتماعية وغيرها، بهدف الوصول إلى الخصائص الأساسية المشتركة لهذه المجموعة وفهمها، ومنه فهم الحدث التاريخي وسياقه.

2-1 لمحة تاريخية حول البروسوبوغرافيا: يعود ظهور مصطلح بروسوبوغرافيا إلى أوائل القرن السادس عشر في عناوين بعض الكتب الصادرة باللغة اللاتينية في البلاد الجرمانية<sup>2</sup>، الذي كان مرتبطا بوصف صور الأجداد (προσωπα = images) والأقدمين<sup>1</sup>، حيث "لم يكن استعمال البروسوبوغرافيا ممكنا بالنسبة لمعظم الفئات الاجتماعية في أغلب المجالات قبل ظهور مواد التسجيل خلال القرن السادس عشر، مثل اختراع الطباعة وانتشار معرفة القراءة والكتابة ونمو البيروقراطية وحفظ وثائق الدولة الوطنية"<sup>2</sup>.

امتدت البروسوبوغرافيا لدراسة التاريخ الروماني من خلال الاهتمام بالشخصيات البارزة التي تشكل الطبقة الحاكمة، إذ عرفت المرحلة الأولى من البحوث البروسوبوغرافية لتاريخ الجمهورية الرومانية إنشاء نوعين من أدوات العمل، تمثلت في الكتب التي يمكن تصنيفها تحت اسم "Onomastica" من ناحية، وهي تشبه قواميس بيوغرافية إلى حد ما، مثل العمل الذي قدمه يوهان جلاندورب (Johann Glandorp) سنة 1557، ومن ناحية أخرى القوائم "Fasti" التي تهتم بتجميع الأفراد ذوي الخصائص المشتركة وأولئك الذين

1- Jean Maurin- Op. cit- p. 824.

2- استخدم مصطلح "بروسوبوغرافيا" أول مرة في صيغة الجمع من طرف المؤرخ الألماني جوستين غوبلر (Justin Gobler) في كتاب نشره سنة 1537 بمدينة ماينز، الموسوم بـ "Prosopographiarum libri quatuor, in quibus personarum illustrium descriptiones aliquot seu images ex optimis quibusdam authoribus". الذي يحوي بروسوبوغرافيا الشخصيات المشهورة وبعض الصور لها. واستعمل في صيغة المفرد عام 1565 ببازل، في كتاب للعالم والطبيب السويسري هاينريش بانتاليون (Heinrich Pantaleon) تناول فيه بروسوبوغرافيا الأبطال والرجال المشهورين في ألمانيا، بعنوان: "Prosopographia heroum atque illustrium virorum totius Germaniae": ثم دخل المصطلح بعد ذلك إلى فرنسا، حيث نشر العالم والبيبلوغرافي الفرنسي أنطوان دو فرديي (Antoine du Verdier) عام 1573 بليون كتابا بعنوان: "La Prosopographie ou description des personages insignes".

1- محمد المبكر- المرجع السابق- ص. 9.

2- Lawrence Stone- Op. cit- p. 58.

يمارسون نفس الوظائف، والمتمثلة في قوائم الحكام وأعضاء مجلس الشيوخ وأصحاب وظائف معينة مرتبطة إلى حد ما بالحكام، حيث استخدم المصطلح للدلالة على تعيين قائمة الأفراد أول مرة خلال القرن الثامن عشر من طرف المؤرخ جاك جودفروي (Jaques Godefroy) في ملحق لطبعة ألفها سنة 1743 بباريس<sup>1</sup>؛ وتوالت بعدها الدراسات البروسوبوغرافية التي لم تكن في البداية سوى معاجم بيوغرافية من نوع "Who's Who"<sup>2</sup>.

بدأ توظيف البروسوبوغرافيا في البحث التاريخي منذ نهاية القرن التاسع عشر، حيث "استخدمت كمنهج من قبل مؤرخي التاريخ القديم ثم الحديث، وكانت في البداية تقدم مقارنة جديدة للتاريخ السياسي"<sup>3</sup>، ذلك بعد أن تحرر التاريخ في مطلع هذا القرن من المطارحات الفلسفية بفضل المدرسة التاريخية (مدرسة برلين)، التي لعبت دورا رئيسيا في نشأة التاريخ كعلم له مواضيعه ومناهجه الخاصة، كما حظيت باهتمام كبير من طرف المؤرخين الفرنسيين بعد أن بلغ البحث الجامعي أوجه في إطار المدرسة الوضعية (مدرسة السوربون)، التي ساهمت في تطوير الكتابة التاريخية بشكل كبير وجعلتها أكثر مهنية واحترافية.

استخدم مصطلح بروسوبوغرافيا لأول مرة بمعناه الحديث عام 1897 من قبل المؤرخ الألماني ثيودور مومسن (Theodor Mommsen)، الذي طور كنهج للبحث ووظفه لدراسة تاريخ الإمبراطورية الرومانية في كتاب من نوع (Who's who)، يحوي جميع الأشخاص المهمين مع بياناتهم البيوغرافية الموجزة ومسح لمهنتهم السياسية، هذا العمل الذي تم تقليده لإعداد أعمال أخرى في مختلف فترات التاريخ القديم طوال القرن العشرين، إما في شكل دراسات فردية أو مشاريع بحث جماعية، أما عن بروسوبوغرافيا الجمهورية الرومانية فنجد من أبرز المهتمين بها المؤرخ السويسري- الألماني ماثياس جيلز (Matthias Gelzer)، الذي ألف سنة 1912 بلايبنغ كتابه حول المناصب السياسية لنبلاء الجمهورية الرومانية.

انتعشت البروسوبوغرافيا خلال النصف الأول من القرن العشرين، حيث عرفت فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وحتى بعدها انتشار الدراسات البروسوبوغرافية التي تهتم بالتاريخ السياسي

1- Claude Nicolet- Prosopographie et histoire sociale: Rome et l'Italie- In: Annales. economies, sociétés, civilisations, vol 5, n° 5, 1970- pp. 1210.

2- Jean Maurin- Op. cit - p. 824.

3- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn - Op. cit- p. 41.

والمؤسسات السياسية، بعدما انتقل بعض المؤرخين الشباب من الدراسة النصية لوثائق النظريات السياسية والدستورية وآلية البيروقراطية التوضيحية إلى دراسة الأفراد وتجاربهم التي تعرضوا إليها<sup>1</sup>، فتحول الاهتمام إلى الأوساط الاجتماعية الأخرى من الضباط والسياسيين والقادة العسكريين وغيرهم، وقد زكيت البروسوبوغرافيا دائما في حقل التاريخ، ولم تتعرض للانتقاد من طرف مدرسة الحوليات (مدرسة استراسبورغ)، التي سعت إلى إعادة إحياء التاريخ وتجديد مناهجه، والانفتاح على التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ذلك لأن "مؤرخي الفكر مارسوا البروسوبوغرافيا دون إظهار أي اهتمام بالبيوغرافيا الفردية"<sup>2</sup>.

توسع استخدام البروسوبوغرافيا في باقي الدول الأوروبية، وانتعشت بشكل كبير في بريطانيا، "فأصبحت ابتداء من الحرب العالمية الثانية وطوال عشرين عاما تخصص علماء ما وراء المانش وما وراء الأطلسي<sup>3</sup>، حيث قدم المؤرخ الإنجليزي لويس ناميير (Namier Lewis) سنة 1929 أول مساهمة بروسوبوغرافية في التاريخ الحديث حول البرلمانيين البريطانيين في القرن الثامن عشر، كما لاح استعمال البروسوبوغرافيا في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ ألف سنة 1913 المؤرخ الأمريكي تشارلز أوستين بيرد (Charles Austin Beard) كتابا شرح فيه شكل ومحتوى دستور الولايات المتحدة من خلال تحليل الخلفية الطبقية والمصالح الاقتصادية للمؤسسين الأوائل.

تصاعد الاهتمام بالبروسوبوغرافيا خلال الستينات من القرن العشرين، وهذا بالتركيز على مختلف النخب التي قدمها علم الاجتماع، وامتدت إلى الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا وحتى المهمشة، حيث لعبت المدرسة البريطانية دورا كبيرا في تطوير المفاهيم التاريخية حول التاريخ الاجتماعي، وتحديد ما يعرف بالتاريخ من الأسفل، الذي عرف بالتاريخ المجبري في إيطاليا وتاريخ الحياة اليومية في ألمانيا، ومن بين المساهمات الرائدة في هذا المجال نذكر العمل الذي ألفه سنة 1975 المؤرخ إيمانويل لوروي لادوري (Emmanuel Le Roy Ladurie)، حول واقع حياة سكان قرية الأكسيستان.

أما بالنسبة للعالم العربي والإسلامي، فقد عرفت الكتابة البروسوبوغرافية ابتداء من ثمانينات القرن العشرين صدور دراسات لبعض المؤرخين العرب، لكنها قليلة مقارنة مع الإنتاج الذي تم تقديمه في البلدان الغربية، نذكر منها دراسة نشرها الباحث الجزائري محمد المواق سنة 1989 بليون حول بروسوبوغرافيا الهياكل السياسية والإدارية للدولة الأندلسية في العصر الأموي من

1- Lawrence Stone- Op. cit- p. 52.

2- Giovanni Levi- Op. cit- pp. 1329- 1330.

3- Jean Maurin- Op. cit- p. 828.

منتصف القرن الثالث إلى أواخر القرن الرابع؛ كما نلاحظ اهتمام بعض المستشرقين بالبروسوبوغرافيا العربية الإسلامية، كالمؤرخ النمساوي إدوارد فون زيمبور (Eduard Von Zambaur)، الذي ألف سنة 1972 بهانوفر معجما حول الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي في بداية الربع الثاني من القرن العشرين.

عموما، أصبحت البروسوبوغرافيا تشهد رواجاً ملحوظاً منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ويبدو أن فترة ما قبل الثورة الفرنسية تستحوذ على أكبر حصة منه، ذلك نتيجة وفرة الوثائق وطبيعة المجتمع المقسم إلى هيئات<sup>1</sup>، نذكر على سبيل المثال دليل بحث أعده سنة 1980 معهد التاريخ الحديث والمعاصر (IHMC) التابع للمركز الوطني للبحث العلمي (CNRS)، بعنوان: "Prosopographie des élites françaises (XVI<sup>e</sup>- XX<sup>e</sup> siècles)"، كما تم إنشاء العديد من المجلات العلمية المتخصصة في مجال البروسوبوغرافيا، كالمجلة الأمريكية "Medieval Prosopography"، بالإضافة إلى تنظيم العديد من اللقاءات العلمية، من مؤتمرات وندوات وطنية ودولية، التي تتساءل حول مساهمات البروسوبوغرافيا في مختلف مجالات التاريخ.

ولا شك أن الثورة التكنولوجية التي شهدها العالم وأحدثتها تكنولوجيا المعلومات والاتصال عكست نتائجها الإيجابية على تطور البروسوبوغرافيا كما وكيفا، لا سيما قواعد البيانات التي حققت معياراً عالياً من الجودة والدقة في تحليل البيانات البروسوبوغرافية، خصوصاً قواعد البيانات العلائقية مثل (XML و JSON)، التي لعبت دوراً هاماً في مواجهة عدة تحديات كالتأكد من مصداقية المصادر والتحكم في الكم الهائل للبيانات، ويتجلى ذلك من خلال الانتعاش الكبير الذي عرفته البروسوبوغرافيا في أوروبا نهاية الثمانينات، المتمثل في إنجاز سلسلة من المشاريع البروسوبوغرافية الكبرى، حيث يقول الباحث ميشال روزي (Michel Rouzé) أنه "يجب الآن اعتبار البروسوبوغرافيا على أنها فرع من فروع الإعلام الآلي"<sup>1</sup>، ونذكر على سبيل المثال مشروع جماعي على الخط، قدم بواسطة هيلين ميليت (Hélène Millet) في مختبر العصور الوسطى الغربية، وهو يوفر إمكانية الوصول إلى معلومات عن الأشخاص الفاعلين في المملكة الفرنسية بين سنتي (1380-1422).

**2- خطوات البروسوبوغرافيا:** تخضع البروسوبوغرافيا لمجموعة من القواعد العلمية والإجراءات المنهجية، التي يجب على الباحث التقيد بها، وهذا بعد تحديد إشكالية البحث التي تقوم حولها

1- Marc Perrichet- Prosopographie de la France moderne: acquis et lendemains- In: Histoires de vies, Actes du colloque de l'association des historiens modernistes, n° 19, 1996- p. 64.

1- Michel Rouzé- Une science nouvelle: la prosopographie. In: Raison présente, n°79, 3 trim, 1986- p. 143.

التساؤلات التاريخية (متى- أين- كيف- لماذا-...)، وصياغتها بطريقة سليمة وواضحة، بالإضافة إلى ضبط أهداف البحث التي يسعى لتحقيقها بدقة، مما يؤدي إلى توجيه البحث البروسبوغرافي بشكل جيد، حيث تنطوي هذه القواعد والإجراءات تحت الخطوات التالية<sup>1</sup>:

- تحديد مجموعة البحث (قائمة الأفراد).

- جمع البيانات البيوغرافية.

- تحليل البيانات.

- عرض النتائج.

**1-2 تحديد مجموعة البحث (قائمة الأفراد):** تتمثل أولى خطوات النهج البروسبوغرافي في تحديد طبيعة الرابط المشترك وإنشاء قائمة أفراد مجموعة البحث، الذين يقعون ضمن الإطار المخطط له مسبقا، وترتيبها ترتيبا زمنيا إن أمكن ذلك، نذكر على سبيل المثال: قائمة مسؤولين من نوع معين، قائمة شخصيات تنتمي إلى فئة اجتماعية معينة، قائمة أفراد عائلة أو أكثر من العائلات المتميزة، أو قائمة أتباع دين أو طائفة معينة<sup>1</sup>.

وعليه، يجب على الباحث تحديد الصلة التي تربط أفراد المجموعة جيدا من خلال ضبط الحدود الموضوعية والجغرافية والزمنية، لأنه "من الضروري أن يحدد المجموعة المستهدفة بشكل دقيق، ويوضح معايير اختياره لإدراج أو إقصاء أشخاص معينين، لأن "كل اختيار سواء كان موضوعيا أو جغرافيا أو زمنيا له نتائج على تفسير البيانات"<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه القائمة يمكن أن تكون مغلقة تتضمن جميع أفراد المجموعة، أو مفتوحة قابلة للتوسيع والتضييق، كما يستطيع الباحث تصنيف مجموعة الدراسة إلى فئات فرعية، وهذا حسب انتماءات الأشخاص الاجتماعية والسياسية والمهنية والدينية والثقافية وغيرها، ذلك أن عملية التصنيف الجيد أساس نجاح أي دراسة بروسبوغرافية<sup>3</sup>.

**2-2 جمع البيانات البيوغرافية:** بمجرد أن ينتهي الباحث من إنشاء قائمة الأفراد يقوم بالخطوة الثانية، المتمثلة في "تكوين بطاقة بيوغرافية كاملة ومرقمة خاصة بكل فرد، تحوي أصله ومسيرته المهنية وأنشطته، وذلك باستخدام جميع المصادر المتاحة"<sup>4</sup>، إذ يجب على الباحث التركيز

1- André Chastagnol- Op. cit- pp. 1229- 1230.

1- André Chastagnol- Op. cit- pp. 1229- 1230.

2- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn- Op. cit - pp. 51- 53.

3- Lawrence Stone- Op. cit- p. 60.

4- André Chastagnol- Op. cit- p. 1229.

على حياة الأفراد باستقصاء كافة المعلومات الممكنة حول مولدهم ونشأتهم وتعليمهم وتكوينهم ومواقفهم ووفاتهم... إلخ، دون التعمق في شخصيتهم.

تتطلب هذه المرحلة جمع أكبر قدر ممكن من البيانات البيوغرافية، وهذا بمراجعة مختلف المصادر المتوفرة (الأولية والثانوية، الأصلية والتكميلية، التقليدية والإلكترونية)، ويستحسن التنوع بين استعمال المصادر الكمية والنوعية (المؤلفات، الأرشيفات، المخطوطات، الأختام، المسكوكات، النقوش، البرديات، وغيرها)، كما يمكن للباحث استشارة أهل الاختصاص وكل من له دراية بموضوع الدراسة قصد إرشاده إلى المصادر المفيدة، لأن "النهج البروسبوغرافي يعمل بطريقة أفضل عندما تكون مصادر المعلومات والبيانات غنية ومتنوعة وشاسعة، ويمكن أن تكمل بعضها البعض"<sup>1</sup>.

بعد انتهاء الباحث من حصر المصادر المتعلقة بالبحث تأتي عملية التحقق من صحتها، وهذا عن طريق إخضاعها لقواعد النقد التاريخي بشقيه الخارجي والداخلي، حيث يشمل النقد الخارجي عمليتين، تتمثلان في: نقد المصدر الذي يرمي إلى التثبت من صحة نسبته إلى مؤلفه وتاريخه ومكان تدوينه، ونقد التصحيح الذي يهدف إلى التأكد من أصالة المصدر وخلوه من الأخطاء والنقص والإضافات، كما يتضمن النقد الداخلي عمليتين، هما: النقد الإيجابي الذي يستخدم لتحليل مضمون المصدر لإدراك معناه وفهمه فهما صحيحا، والنقد السلبي الذي يتعلق بالظروف التي أنتج فيها المصدر وتحليل شخصية المؤلف بهدف التعرف على الحقائق ومدى دقتها، وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن للباحث أن "يتدخل منذ هذه المرحلة التجميعية لتأويل نقطة غامضة أو اقتراح تاريخ معين أو تصحيح معطيات في نوع من تحقيق للمصادر"<sup>1</sup>.

ومما لا شك فيه أن عملية النقد ليست يسيرة، فهي تتطلب توفر شروط خاصة في الباحث، أن يكون مثلاً ملماً بآليات التحليل الجينيالوجي، وفاهماً لخصائص النسب والتحالف في البيئة التي عاش فيها أفراد المجموعة، كما يجب أن تكون له ثقافة واسعة ومعرفة بالعلوم التي لها علاقة بموضوع بحثه، لأنه لا يمكن توظيف البروسبوغرافيا بمعزل عن العلوم الأخرى، نذكر على سبيل المثال أهمية علم المسكوكات والنقوش في دراسة بروسبوغرافيا التاريخ القديم.

من المسائل الضرورية التي ينبغي على الباحث القيام بها في هذه المرحلة هي جمع المعلومات المتعلقة بكافة أفراد المجموعة وفقاً لنفس النموذج القائم على "الاستبيان"، وهو عبارة عن شبكة

1- Lawrence Stone- Op. cit- p. 69.

1- محمد الميكر- المرجع السابق- ص. 9.

من الأسئلة يقوم بصياغتها وفقا لإشكالية وأهداف البحث، وما توفره المصادر من معلومات، لأنها تساهم في بناء منهجي وموحد لمجموع البيانات البيوغرافية، حيث أشارت هيلدي دي ريدر سيموينز (Hilde De Ridder- Symoens) إلى أن "البروسبوغرافيا دراسة تبدأ من الاستبيان، وتجمع البيانات البيوغرافية حول مجموعة محددة جيداً من الأشخاص، وعلى أساس هذه البيانات التي تم جمعها يمكن الإجابة على الأسئلة التاريخية"<sup>1</sup>.

2-3 تحليل البيانات: تعتبر هذه الخطوة أطول جزء في العملية البروسبوغرافية، فبعد أن يقوم الباحث بجمع البيانات وتصنيفها وترتيبها يواصل تحليله الدقيق وفقا للأسئلة المطروحة، متجاوزا في ذلك مرحلة الوصف إلى التعليل، وهذا "عن طريق إجراء فحص مقارن لجميع البطاقات البيوغرافية، من أجل تحديد العناصر المشتركة والخصائص الفردية، واستخلاص أكبر قدر ممكن من المعلومات"<sup>2</sup>، وغني عن القول أن التحليل يتطلب الموضوعية والعقلانية، لذلك يتوجب على الباحث التعمق في فهم المعلومات ومقارنتها قصد استخلاص النتائج، ليتمكن في الأخير من تعميمها على مجموعة البحث.

يعتمد الباحث في عملية التحليل على الأساليب الإحصائية (يدوية وتقنية، كمية ونوعية)، التي تساعده في وصف وتفسير البيانات، واستخراج المؤشرات منها وتقديمها في صورة بسيطة ودقيقة، حيث "تصبح نتائج التحليل أكثر وضوحا عند تحويلها إلى جداول ورسوم بيانية"<sup>1</sup>، لذلك يجب على الباحث اختيار أساليب التحليل المناسبة للحصول لنتائج صحيحة، ويمكن له الاستعانة بأخصائي تكنولوجيا المعلومات للحصول على البرمجيات اللازمة لإنشاء قواعد البيانات البروسبوغرافية، وبالمختصين في الإحصاء لمساعدته في المعالجة الإحصائية في حالة المجموعات الكبيرة.

في هذه المرحلة يتولد في ذهن الباحث نظام تحليلي للعمل البروسبوغرافي، مما يجعله مسيطرا على كافة جوانب الدراسة، و"بواسطة هذه الخطوة يقف الباحث على الفائدة العظمى من المقاربة البروسبوغرافية، التي ترقى بالمعلومات المتفردة غير ذات منفعة للوهلة الأولى إلى قيمة نوعية بل حاسمة في إثبات أو نفي سلوك أو ممارسة ما ترتبط بالفئة المدروسة"<sup>2</sup>.

2-4 عرض النتائج: تتطلب هذه الخطوة تقديم كافة المعلومات المتجمعة في هيكل تنظيمي معين، وعرض جميع النتائج المتحصل عليها تبعا لأسئلة وأهداف البحث في سياق تحليلي محدد، وغالبا ما

1- Hilde de Ridder- Symoens- Op. cit- p. 96.

2- André Chastagnol- Op. cit- p. 1229.

1- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn- Op. cit- p. 30.

2- لمياء لغزاوي- التصوف بين البروسبوغرافيا وأدب المناقب- في: مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج. 35، ع. 19، 2013- ص. 103.

يتبع الباحث عند تحرير بحثه إحدى الطرق الآتية، كما وضحتها هيلدي دي ريدر سيموينز (Hilde De Ridder- Symoens)<sup>1</sup>:

- تحرير البطاقات البيوغرافية فقط دون تعليق، فيصبح العمل عبارة عن نوع من القواميس البيوغرافية، كالدراسة التي قام بها أندري موندوز (André Mandouze) سنة 1982، حول إفريقيا المسيحية ما بين سنتي (303-533)<sup>2</sup>.

- تقديم الدراسة التركيبية القائمة على البيوغرافيا الجماعية دون تضمين المادة الأساسية (البطاقات البيوغرافية)، مثل الدراسة التي قام بها لورو مارتين (Lauro Martines) سنة 1968 عن المحامين وفنون الحكم في عصر النهضة<sup>3</sup>.

- تقديم البطاقات البيوغرافية المجمعة، وإحاطتها بالتحليل والنتائج، كالدراسة التي قدمها سفين ستيلينغ ميشو (Sven Stelling-Michaud) سنة 1955، حول جامعة بولونيا وتغلغل القانون الروماني في سويسرا خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر<sup>1</sup>.

أما بالنسبة لطريقة تقديم البطاقات البيوغرافية، "فيمكن أن تأخذ عدة أشكال، ولكنها في الغالب تقدم على شكل معلومات متتالية أو خانات متعاقبة تمهيدا للمعالجة المعلوماتية"<sup>2</sup>، إذ تمكن قواعد البيانات البروسبوغرافية بمختلف أنواعها من تحسين بث المعلومات وإيصالها للباحثين.

3- أهمية البروسبوغرافيا: تكتسي البروسبوغرافيا أهمية بالغة في البحوث التاريخية، كونها "تمزج بين التأريخ للفرد والتأريخ للبنى"<sup>3</sup>، وقد حظيت باهتمام كبير من قبل العديد من المؤرخين والباحثين في شتى فروع التاريخ (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي، الديني، وغيرها)، بفتراته المختلفة (العصر القديم، الوسيط، الحديث والمعاصر)، وتوسع استخدامها إلى باقي الدراسات الإنسانية والاجتماعية (علم الإنسان، علم الاجتماع، علم النفس، العلوم السياسية،... إلخ)، ولا شك أن المساهمات السالفة الذكر قد لعبت دورا كبيرا في توجيه الكتابة البروسبوغرافية

1- Hilde de Ridder- Symoens- Op. cit- p. 101.

2- André Mandouze- Prosopographie chrétienne du Bas-Empire t.1, Prosopographie de l'Afrique (303- 533)- Éd. du Centre National de la Recherche Scientifique- Paris -1982.

3- Lauro Martines- Lawyers and Statecraft in Renaissance Florence- Princeton University Press- Princeton - 1968.

1- Sven Stelling Michaud- L'Université de Bologne et la pénétration des droits romain et canonique en Suisse aux XIIIe et XIVe siècles- Librairie droz- Paris- 1955.

2- محمد المبكر- المرجع السابق - ص. 9.

3- رجاء عنقود- البروسبوغرافيا: منهج لدراسة النخب والفئات الاجتماعية، محاولة تعريف- في: أسطور، ع. 11، 2020- ص. 82.

من خلال المعطيات الدقيقة التي وفرتها حول طريقة استخدام البروسبوغرافيا من ناحية، وإثبات فائدتها في البحوث التاريخية من ناحية أخرى.

تساهم البروسبوغرافيا في الوصول إلى البيانات النادرة، خاصة في الفترات التاريخية التي تشهد قلة في المصادر أو عدم توافرها تماما كفترات التاريخ القديم، حيث أشار جان موران (Jean Maurin) في هذا الباب قائلا: "إن البروسبوغرافيا تصبح مثيرة للاهتمام عندما يكون السرد المتتالي للأحداث نادرا أو معدوما، وتكون النقوش وفيرة"<sup>1</sup>، وكذلك الفترات التي يكون فيها الأرشيف مبعثرا أو مفقودا، كما هو الحال بالنسبة إلى الفترات الاستعمارية، فهي "نظام لتنظيم البيانات النادرة، بطريقة تكتسب أهمية إضافية من خلال الكشف عن الروابط والأنماط التي تؤثر على العمليات التاريخية"<sup>2</sup>.

ولا شك أن استعمال مختلف المصادر (مؤلفات، مخطوطات، أرشيفات، نقوش، مسكوكات وغيرها) لن يعيد إنتاج الوثائق الأصلية، لكنه يساهم بشكل كبير في الكشف عن الظواهر التاريخية وسيورتها، بل إنه يسمح بتقبيد كثير من الأحداث المجهولة طبقا لعصور الأشخاص المترجم لهم، حيث كتبت إيزابيل بريزي (Isabelle Parizet) في هذا الباب قائلة: "إن استخدام هذه المقاربة أو المنهج أصبح ضروريا، لقدرته على تحليل الأرشيفات المتناثرة بدقة، ووضع مقارنات وتجميع العناصر المتفرقة التي تسمح بتتبع أثر نشاطات الفئة المدروسة الإدارية، العامة أو الخاصة على المدى الطويل"<sup>1</sup>.

تضطلع البروسبوغرافيا بدور هام في مجال التاريخ السياسي والمؤسسي، الذي يتمحور حول دراسة المؤسسات والهيئات السياسية، لأن "وصف الفئات السياسية يساعد في اكتشاف عمق خطاباتها السياسية وتحليل الانتماء الاجتماعي والاقتصادي لأفرادها، ثم التعرض لعمل الآلة السياسية والتعريف بأولئك الذين في القيادة"<sup>2</sup>، وبالتالي تساهم البروسبوغرافيا في الكشف عن الممارسات التي قام بها الحكام ومختلف الشخصيات السياسية، وتكشف عن العلاقات والصراعات والتغيرات والتطورات السياسية وتفسرها، فهي أداة مناسبة لتسليط الضوء على النخب السياسية وتأثيرها في السلطة والمجتمع.

1- Jean Maurin- Op. cit - p. 826.

2- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn- Op. cit- p. 37.

1- Isabelle Parizet- Méthodes de la prosopographie de l'époque contemporaine- In: École pratique des hautes études. Section des sciences historiques et philologiques. Livret- Annuaire 21. 2005-2006, 2007- p. 313.

2- Lawrence Stone- Op. cit- p. 46.

تعتبر البروسبوغرافيا طريقة للتاريخ الاجتماعي، من غاياتها الرئيسية إبراز الخصائص المميزة للفئة الاجتماعية، للوقوف على ديناميكيتها الداخلية وممارساتها الاجتماعية في إطار علاقتها مع محيطها الاجتماعي<sup>1</sup>، فهي تسمح بفهم أداء وتكوين المجتمع وآلياته، وبالتالي تتيح التعرف على العائلات والمؤسسات وكيفية تنظيمها، وفحص الهوية الاجتماعية (الرتب والطبقات)، كما تمكن من الوقوف على تطور النظم في المجتمعات عبر مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها، فضلا عن التعرف على إمكانيات الحراك الاجتماعي والتحول التي تطرأ على المفاهيم والقيم الاجتماعية.

كما تستعمل البروسبوغرافيا في تاريخ الذهنيات، حيث يقول المؤرخ الفرنسي المختص في التاريخ الحديث وتاريخ الثورة الفرنسية ميشال فوفيل (Michel Vovelle) في هذا الشأن: "تطبيعا لمقاربات التاريخ الاجتماعي الكمي، لقد حاولنا في مجال تاريخ الذهنيات أن نعرض تاريخ هذه الجماعات وهؤلاء المجهولين، أي أولئك الذين لم يتمكنوا حتى من لحظة اعتراف، وحتى إن بدا الأمر أدبيا، فإننا نعني كل الذين تم إقصاؤهم من البيوغرافيا"<sup>2</sup>، وفي نفس المجال أكد الباحث جيوفاني لوفي (Giovanni Levi) على أهمية البروسبوغرافيا بقوله: "ليس من قبيل الصدفة أن اعتمد مؤرخو الذهنيات البروسبوغرافيا بينما أظهروا القليل من الاهتمام بالبيوغرافيا الفردية"<sup>3</sup>. تمكن البروسبوغرافيا أيضا من دراسة التاريخ الاقتصادي، بما في ذلك التاريخ المالي والتجاري والمصرفي، فهي تساعد في الكشف عن مختلف المؤسسات الاقتصادية، والالام بتاريخ الثروات والإنتاج الزراعي والصناعي ونوع التبادل التجاري والأموال، ومدى تمركزها في يد طبقة أو طبقات معينة، وتسهم في دراسة مستوى العمران ونهوض الحضارات أو تدهورها، وتستعمل أيضا في دراسة التاريخ الثقافي والكشف عن الثقافة والهوية والتعبيرات والتطورات الثقافية في مختلف العلاقات الإنسانية، كما تستخدم في دراسة التاريخ الديني من خلال رصد تاريخ رجال دين أو مذهب أو طائفة معينة.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره، يمكن الاستعانة بالبروسبوغرافيا في كافة المجالات التاريخية، كالتاريخ الدبلوماسي والعسكري والتربوي والفكري وتاريخ الجامعات والعلوم والفنون وغيرها، فهي تستخدم في الكشف عن المجموعات المهنية بمختلف أنواعها من خلال دراسة التاريخ المهني، وغالبا ما ترتبط هذه الدراسات المؤسسية بإنشاء قواعد بيانات كبيرة<sup>3</sup>، بل إن استعمالها أصبح في باقي

1- Emmanuelle Picard- Etudiants et enseignants: du dossier individuel à la prosopographie- In: Revue administrative, 2007- p. 57.

1- Michel Vovelle. Op. cit- p. 191.

2- Giovanni Levi- Op. cit - p. 1330.

3- Hilde de Ridder- Symoens- Op. cit- pp. 107- 108.

مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية مهما، لأنها وسيلة تمكن من توضيح الدينامية الاجتماعية لمجتمع معين في فترة محددة وتوضيح شبكة العلاقات التي تربطها، فهي تقدم "الارتباطات بين الحركات الثقافية والدينية والحركات الاجتماعية والجغرافية والمهنية أو أي عوامل أخرى"<sup>1</sup>. وبالتالي، يمكن توظيف البروسوبوغرافيا في مختلف البحوث التاريخية، خاصة "أن البحوث في بعض ميادين التاريخ السياسي والديني والاجتماعي استنفذت ما يمكن أن تعطيه المقاربات التقليدية، فأضحت من اللازم تجديد أدوات البحث واستغلال مصادر لم تستغل من قبل بما فيه الكفاية، لطرح أسئلة جديدة أو لإعادة النظر في أجوبة قديمة"<sup>2</sup>، حيث ترى الباحثة كاترين كيتس روهان (Katharine Keats- Rohan) بأنها "مقاربة متعددة الطبقات لتحليل مجتمعات بأكملها في مناطق وأوقات محددة"<sup>3</sup>.

**4- صعوبات البروسوبوغرافيا:** على الرغم من الحضور القوي والإنتاج المتنوع الذي شهدته البروسوبوغرافيا في مختلف الحقول التاريخية، إلا أنها تطرح مجموعة من الصعوبات والمشاكل، شأنها شأن المناهج والمقاربات الأخرى، لها من الإيجابيات كما له من المآخذ، قد تفيد في نوع معين من البحوث وقد تكون عديمة الفائدة في نوع آخر.

من أبرز المشاكل التي قد تواجه الباحث خلال استخدامه للنهج البروسوبوغرافي تلك المتعلقة بالكم، والمتمثلة في صعوبة تحليل البيانات وتفسيرها، التي تؤثر سلبا على دقة النتائج وصحتها، مما يستدعي من الباحث ضرورة الانتباه للتأويلات والاستنتاجات الخاطئة التي قد يقع فيها عندما يكون حجم المجموعة المستهدفة كبيرا، فعملية "تحليل البيانات تتطلب مهارات أخرى غير تلك المطلوبة في المرحلة الاستدلالية من البحث"<sup>2</sup>، لهذا يجب دراسة المجموعات الكبيرة ضمن فرق بحث جماعية، لتوفر البنية التحتية التقنية المناسبة من أجهزة وبرمجيات، بالإضافة إلى دعم من طرف مختلف المتخصصين في مجال الإحصاء والإعلام الآلي، وهذا يعني "أن البحث الجماعي ضروري بالنسبة للمجموعات الكبيرة، أما الباحث يمكنه في إطار فردي -بدون بنية تحتية- دراسة المجموعات الصغيرة فقط"<sup>3</sup>.

كما تطرح البروسوبوغرافيا مشكلة أخرى تتمثل في صعوبة التعميم، وذلك راجع إلى ندرة البيانات المتعلقة ببعض أفراد المجموعة أو انعدامها تماما، "فإن التاريخ القديم خاصة لا يتوافر

1- Lawrence Stone- Op. cit- p. 47.

2- محمد المبكر- المرجع السابق - ص. 11.

1- Katharine Keats- Rohan- Op. cit.

2- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn- Op. cit- p. 65.

3- Hilde de Ridder- Symoens- Op. cit- p. 105.

على المصادر الكافية لمعرفة كل الشرائح الاجتماعية، والنقوش نفسها لا تمثل في كثير من الأحيان إلا بقايا الطبقات الغنية أو الحاكمة، بل الشريحة العليا من تلك الطبقة<sup>1</sup>، "فإذا كان حجم المجهول كبيرا، وكانت المعلومات غير تامة وتمثل أغلبية كبيرة، يصبح التعميم القائم على المتوسطات الإحصائية مهتزا بالفعل، إن لم يكن مستحيلا [...] وكلما انحدر الوضع الاجتماعي ندرت الوثائق، لذلك ركزت أغلب الدراسات على النخبة بسبب ضعف الوثائق المتعلقة بباقي الفئات الاجتماعية"<sup>2</sup>.

تعرض طريق الباحث أيضا مشكلة كبيرة- غير قابلة للحل في بعض الأحيان- أثناء عملية جمع البيانات البيوغرافية، المتمثلة في كيفية تفسير الأسماء، فغالبا "كل ما يتوافر لتحديد العلاقات الأسرية هو الأسماء، ومن الواضح أن شخصين مختلفين أو أكثر يمكن أن يحملوا نفس اسم العائلة، دون أن يكونوا بالضرورة مرتبطين ببعضهم البعض"<sup>1</sup>، كما يجد الباحث صعوبة عندما يتم ذكر اسم الشخص فقط دون ذكر اسم العائلة، مما يحول دون تحديد الشخص المقصود وانتقاء بياناته البيوغرافية المناسبة.

وفقا لهذه الاعتبارات، وجه بعض الباحثين انتقاداتهم للبروسبوغرافيا، وأكدوا على محدودية استعمالها، وبأنها طريقة تناسب دراسة النخب فقط، بل حذر بعضهم الآخر من المزالق التي يمكن أن يقع فيها مستخدم هذه المقاربة، كونها تشبه هواية جمع الطوابع. وبالتالي، يجب على الباحث اختبار مدى فاعلية البروسبوغرافيا قبل الشروع في توظيفها لدراسة ظواهر وأحداث تاريخية معينة، وهذا من خلال الإجابة على سؤالين أساسيين، هما:

- هل تخدم البروسبوغرافيا إشكالية وأهداف البحث؟

- هل المصادر المتاحة كافية لاستعمالها؟

هذا ما يتطلب من الباحث إجراء دراسة أولية لضمان إمكانية الحصول على البيانات اللازمة، حيث أكد كوينراد فيربوفان (Koenraad Verboven) وآخرون على أن "فاعلية البروسبوغرافيا مرتبط بالأهداف العامة للبحث وشبكة الأسئلة المحددة من جهة، وبالمصادر المتوافرة من جهة أخرى"<sup>2</sup>.

1- محمد المبكر- المرجع السابق- ص. 13.

2- Lawrence Stone- Op. cit- pp. 58- 59.

1- Koenraad Verboven, Myriam Carlier, Jan Dumolyn- Op. cit- p. 41.

2- Ibid- p. 69.

**الخاتمة:** نستنتج في ختام هذه الدراسة أن البروسبوغرافيا مقارنة خاصة بدراسة التاريخ، في شتى فروعها (التاريخ السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي، الديني، وغيرها)، ومختلف فتراته (العصر القديم، الوسيط، الحديث والمعاصر)، كما تستعمل لدراسة باقي مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية (علم الإنسان، علم الاجتماع، علم النفس والعلوم السياسية، ... إلخ)، وهي ضرورية لدراسة تاريخ النخب، كما يمكن استخدامها في تاريخ الطبقات الاجتماعية الأخرى، كونها أداة هامة لجمع واستجواب وتحليل البيانات البيوغرافية، التي تهدف إلى إعادة بناء الماضي بكل وقائعه، إلا أن فاعليتها تتوقف على مجموعة من العوامل التي يجب التحقق منها قبل توظيفها، والمتمثلة في تجاوزها مع إشكالية وأهداف البحث من جهة، وتوافر المصادر التي تضمن إمكانية العثور على البيانات الكافية من جهة أخرى، مما يستدعي إجراء دراسة مستقبلية دقيقة للمجموعة المستهدفة.

خلاصة القول، يمكننا التأكيد على أهمية البروسبوغرافيا في البحث التاريخي، فاستخدامها هو وعي بضرورة الانفتاح على طرق علمية جديدة، تسمح بإلقاء الضوء على خفايا الحقب التاريخية، لا سيما تلك التي تشهد ندرة المصادر وعدم توافرها، أو تبعثر الأرشيف وفقدانه، كما هو الحال بالنسبة لأرشيف الجزائر المنتج خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، الذي انجر عن عملية ترحيله قيودا أعاق كتابته جزء كبير من التاريخ الجزائري؛ لذلك أصبح استخدام البروسبوغرافيا ضروريا لدراسة الأرشيف التاريخي بمختلف أنواعه، عساها تكشف عن بعض الجوانب الخفية والزوايا الغامضة من تاريخ الجزائر.